البحتري في قوله: (فلم أر ضرغامين أصدق منكما)[10]، إذ إن النص هناك لا يدعم هذه الصفة ولا يوحد الدلالة حولها ولا يبنيها باتجاهها.

وعند البحتري جاء الممدوح دائماً في موضع الابتداء والرفع وموضع الفاعل، ويكون الليث في حالات المنصوب والمفعول به والمتعدي عليه. وفي ذلك قال البحتري:

هزبر مشى يبغي هزبراً وأغلب
من القوم يغشى ـ باسل الوجه ـ أغلبا

فالممدوح هو المرفوع وهو الذي (يبغي) مما يجعله باغياً ومعتدياً. ولن يتساوى الممدوح مع الليث بأن يكونا ضرغامين لأن أسباب التساوي ليست موجودة في النص.

وهذه ثغرة ارتفع نص بشر من فوقها وأحدث في قصيدته جوّاً دلالياً من المساواة والعدالة والإنصاف وجعل للأحداث أسباباً، وجعل الأطراف تتساوى في أغراضها وفي صفاتها. وحينما منح الليث اسماً فإنه يمنحه قيمة معنوية من خلال هذا الاسم ومن خلال محاورته ودخوله في خطاب مباشر مع الليث يذكر له أسباب المواجهة، ويواسيه بعد موته بأنه قد مات حرّاً لأنه قد قابل رجلاً حراً ـ ولأنه مات في سبيل البحث عن قوت لأشباله، ولذا فإن داذا قد مات شهيدا ـ مثلما إنه قد مات حراً ـ وكان موته شريفاً ونبيلاً بسبب نبل غرضه من المقاتلة، وبسبب أن قاتله فارس لديه من الأسباب والأخلاق مثلما لدى (داذا).

هذه عدالة يؤسسها النص ويتأسس عليها مما جعل أسد بشر بن

(10) انظر تفصيل ذلك في الفصل الخامس من هذا الكتاب.